الوفاق بين الجنسين

تابع صفحة ٩٥

كانت المرأة السورية واريد بها المسيحية امةً للرجل يستبد فيها ما شاء ويعاملها بالقسوة والعنف شأن غيرها من نساء الشرق . وكان الجهل متأصلاً فيها والبؤس متمكناً منها والذل مخيماً عليها . فتعاهدتها يد العناية بالعلم وجادتها بالتهذيب واحسنت اليها بالتربية فنفضت عنها غبار الخمول ونهضت من سبات الانحطاط وسارت بجهاد عظيم في سبيل الارتقاء شيئاً فشيئاً الى ان فازت بحرية لم تحلم بها من قبل ونفثت باستقلال ما عهدته شرقية . على ان هذه الفئة الراقية التي صارت اهلاً للتمتع بحقوقها وصار بامكانها احسان القيام بواجباتها . هذه الفئة المتعلمة المتهذبة كما ينبغي العارفة مقامها القائمة بما تستحق المدركة حقائق الامور هي لا تزال قليلة جداً بالنسبة لمن نشأ من المتسيدات اللواتي ما عرفن من الغرق غير مزوقاته البراقة وما نظرن الا الى قشوره اللماعة ومع ذلك ابين الا التمتع بامور لم يصرن بعدُ اهلاً لها ولاحقّ لهن بها وطمحن الى الاستزادة منها الى درجة التسلط على الرجال والاستبداد بهم كأنهن يرغبن في الانتقام ممن ظلموهن اجيالاً وجيلاً ما عاملوهن بمثلما . فترجان ويسرن في هذا الميدان شوطاً بعيداً . وتأثث الرجال وجاروهن في السير بلا تروٍ ولا امعان . وهكذا تبدلت الاحوال وانعكست الامور .

كانت المرأة بالتقاء الضرب راضية فاصبح الرجل بالتقاء الامتهان راضياً . كانت بالاكرام قانعة فامسى بالمساواة قانعاً . كان يشير اليها بقوله اجلك الله امرأتي فاضحى يناديها بفائق التعظيم والاجلال سيدتي وقد تقول عنه يوماً ما اجلك الله من في بيتي . كانت تمشي وراءه فصار يمشي وراءها على ان الحق

يقتضي بان لا تمشي وراءه ولاامامه بل واياه جنباً لجنب وان تكون جهة قلبه وتدع يمناه مطلقة لدفع الطواري عن لطفها وان يفسح الاقوى منهما المجال الاضعف عند اجتياز مضيق وان يساعده عند الزوم

تناقضت الاحوال بين الجنسين وتكيفت اخلاقهما ضدّ ما فطرا عليه . فانعكس ما يرجى من كلّ منهما وتضررا كلاهما ولاغروَ فان الرجل مخلوق ليبقى رجلاً والمرأة مخلوقة لتظلّ امرأة . ومن العبث محاولة الوفاق بينهما بتأنث الرجال وترجل النساء . ان النتائج تدرك من المقدمات ومما نراه الآن من شيوع هذا الامر بيننا نستطيع تقدير المستقبل انه اسود هائل . لاننا نرى الاضرار بادية في المنازل بين العائلات .وحيثما فسد نظام العائلة فسدت احوال الامة

وكم هو مخالف لنظام الاجتماع المبني على الناموس الطبيعي تخلق الرجل باخلاق المرأة والمرأة باخلاق الرجل . كم هو محزن ومضر تضاعف قلبه وتحجر قلبها تأنث عواطفه وترجل عواطفها واتيان الاول ماهو من شأن الثاني وبالعكس . لولا القليل لصار ابن الغاوية والكسلانة ينادي اباه ماما وابن الضعيف المترف يحسب امه بابا . ولولا ما تأصل فينا من بقايا عادات تلك الايام مما ينافي تماماً ما نشكو منه الآن لتفاقم الخطب واشتدت البلوى ولكننا سائرون مع ذلك في سبيل الفوضى على عجل والشقاء على الابواب وما زلنا متغافلين عن هذا الامر ومتقاعدين عن وضع حد له فانا لا محالة نادمون

مهلاً سادتي لاتظنوني مبالغاً فيما اقول بل هي حقيقة حال بعض المتفرنجين والمتفرنجات في سوريا اردتها على علاتها كما اعلمها لعلّ منها عبرةً لمن يعتبر

وعفوا سيداتي لا تتوهمن مني الحسناء مغيراً خطته . لا تتهمنه بالارتشاء وتحسبنه مغاضباً للطف ومداجياً للنشاط . معاذ الله ان يكون محدثكنّ متقلباً

اومرتشياً ومقاضياً او منداحياً . معاذ الله ان يخونكن من فاز بفتكن بعد استهدافه لنبال لوم الغاويات سنيناً ومعاناته من اضطهادهن له في جهاده المقدس لخير جنسكن اللطيف ما لم يعانه كاتب شرقي بعد

وليس ما تسمعونه آلان مما قد لا يروق عند البعض فينكره علي ويؤاخذني عليه الا كوصف الطبيب لعلة المريض بعد درسها حساً ومعنى وايضاحه حالته تماماً وكيف كان استطلاعه اياها وانجاعه اياه بالفحص والتدقيق ولو بحضرة اهله وحبيه ليتمكن من افادته عن علته واقناعه بوجوب احتمال المعالجة اللازمة مهما كان احتمالها صعباً ومراً . وليظهر للاهل والمحبين اعراض الداء ومرارة الدواء ليتجنبوا اسباب العدوى ويتقوا بواعث الاعتلال فينجون من المتاعب والآلام

نعم نعم ان المرأة المتزجلة هي علة كان الرجل المتأنث هو علیل . والاعلاّ لا يستطيعون اتقان عمل ولا يسرون كل السرور . لا يصلحون للمثل ولا يتذوّن بالحياة . هي بأسة وهو بأس فاذا تأكدنا هذا وجب علينا البحث والتنقيب عن علاج شاف لمن اصيب بهذا الداء واذا كان العذاب قد برحت به العلة حتى استحال شفاؤه فلا بأس من ان يكون الدواء للوقاية وقد قيل درهم منع خير من قنطار علاج

خلق الله الانسان جنسين كلٌ منهما مكمل للآخر خلقه رجلاً وامرأة وميز كلاً منهما بخاصات تناسب تكوينه فعاش هذا الانسان دهراً طويلاً مدفوعاً بغريزته متكيفاً حسب الاحوال . وما زال عائشاً الى اليوم مسيرا لا مخيرا تدفعه الغريزة وتقوده العادة وتكيفه الظروف . وهو تارة يتآلف وطوراً يتخالف حيناً يتفق واحياناً لا يتفق وما زال ولا يزال هذا شأنه من حين وجد الى ان ينقرض .

فالبحث اذاً عما يوفق بين جنسي بني الانسان ولنرى اذا كان ذلك بالامكان واحصر بحثي في الامة السورية لانها اول بخدمة من مثلي منها باسائر البلدان له بقية

حرية المنزل

تابع صفحة ١٠١

ان قلب الوالدين يلتهب بنار الغيرة والحب المحرقة و تخفق خفقان الطرب عندما توهبها القدرة هذا الكائن النحيل القوى والضعيف الاعصاب . وربما أشعرا بذلك قبل ان يصل هذا المخلوق الى العالم وقبل ان يعرفاه لان مجرد تصورهما اياه كاف لبعث احساسات قلبيهما و يقلب مجرى حياتهما فتصبح افكارهما كافة متجهة اليه وكل شعاورهما متعلقة به . هما يحسبان ان العذابات التي تلحقهما من اجل راحته ليست بالشيء المزعج . وان سعادتهما لا وجود لها الا في سعادته وان حياتهما الى ذلك الحين لم تكن الا وقفاً على انتظار قدومه اليهما فاذا صبرا فلاجل الاعتناء براحته واتمام حاجاته . واذا نامَا تراءى لهما في المنام واذا صليا تردد اسمه على لسانهما وفتنت به شفتاهما . هما لا يشعران بالتعب ولا بالجوع عند ما يجب انقاذه من الجوع او من البرد او من غير ذلك من اعداء الانسان . بيد ان اخلاصهما هذا لولدهما لا يزعجهما كثيراً لانهما يتسامانه سعادته في المستقبل عدا عن ان قلبيهما بممارسة هذه الاحساسات يعتادانها فتصبح ملكة فيهما ولا يمكن ثمة انتزاعها منهما

فاذا عرفت ذلك كله تأمل بما تصير اليه حالتهما اذا دهى هذا الطفل داهية او اصابته مصيبة او مات . فانه يأخذ معه الشطر الاكبر من قلبيهما فيشعران عندئذ باليأس الشديد . و بانهما فقدا حقوقهما بالوجود اذ يتجدد حزنهما عليه في